

128

مسألة من مسائل الجاهلية

تأليف الإمام

محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأمينين، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها.

فالضد يضر حسنه الضدُ وبضدها تتبين الأشياءُ

فأهم ما فيها وأشدّها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالى: {والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون}.

[1] : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله، لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه، كما قال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله} وقال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يُقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر إن من فعل ما استحسنا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. وهذه هي المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الله الجهاد كما قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}.

[2] : أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: {كل حزب بما لديهم فرحون}، وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الصلاة ولا تتفرقوا فيه}، وقال تعالى {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء}، ونهانا عن مشابهتهم بقوله: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات}، ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا}.

[3] : أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدي فيه وأعاد.

وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه في الصحيح أنه قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم" (أخرجه مسلم). ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها.

[4] : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: {وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوهاً إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} وقال تعالى: {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير}، فأتاهم بقوله: {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة}، وقوله: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون}.

[5] : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشئ، ويستدلون على بطلان الشئ بغربته وقلة أهله، فأتاهم بصد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن.

[6] : الاحتجاج بالمتقدمين كقوله: {قال فما بال القرون الأولى}، {ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين}.

[7] : الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال، وفي الملك والمال والجاه، فرد الله ذلك بقوله: {ولقد مكانهم فيما إن مكناهم فيه}، وقوله: {وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به}، وقوله: {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم}.

[8] : الاستدلال على بطلان الشئ بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، كقوله: {أنؤمن لك واتبعك الأرذلون}، وقوله: {أهؤلاء من الله عليهم من بيننا}، فرده الله بقوله: {أليس الله بأعلم بالشاكرين}.

[9] : الاقتداء بفسقة العلماء والعباد فأتى بقوله: {يا أيها الذين ءامونا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله}، وبقوله: {لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل}.

[10] : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم كقولهم {بادي الرأي}.

[11] : الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم: {إن أنتم إلا بشر مثلنا}.

[12] : إنكار القياس الصحيح، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق.

[13] : الغلو في العلماء الصالحين، كقوله: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق}.

[14] : أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والإثبات، فيتبعون الهوى والظن ويُعرضون عما جاءت به الرسل.

[15] : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم كقولهم: {قلوبنا غلف}، {يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول}، فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم، وأن الطبع بسبب كفرهم.

[16] : اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر، كما ذكر الله ذلك في قوله: {ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون} * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما}.

[17] : نسبة باطلهم إلى الأنبياء كقوله: {وما كفر سليمان}، وقوله: {ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً}.

[18] : تناقضهم في الانتساب، ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

[19] : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم، كقدح اليهود في عيسى، وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم.

[20] : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام.

[21] : تعبدهم بالمكء والتصدية. (1).

[22] : أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

[23] : أن الحياة الدنيا غرتهم، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه كقولهم: {نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين}.

[24] : ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة، فأنزل الله تعالى: {ولا تطرد الذين يدعون ربهم}. الآيات.

[25] : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء، كقوله: {لو كان خيراً ما سبقونا إليه}.

[26] : تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

[27] : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله، كقوله: {قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله} الآية.

[28] : أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفهم، كقوله: {قالوا نؤمن بما أنزل علينا}.

[29] : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفهم، كما نبه الله تعالى عليه بقوله: {قل فَلَِمَ تَقْتُلُونَ أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين}.

[30] : وهي من عجائب آيات الله، أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الإفتراق، صار كل حزب بما لديهم فرحين.

(1) قال ابن عباس: كانت قريش تطوف عراة يصفقون ويصفرون فكان ذلك عبادة في ظنهم. قال ابن عمرو ومجاهد والسدي: المكء الصغير، والتصدية: التصفيق.

[31] : وهي من أعجب الآيات أيضاً، معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفنتهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاهم بدين موسى عليه السلام، واتبعوا كتب السحرة، وهي من دين آل فرعون.

[32] : كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه، كما قال تعالى: {وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ}.

[33] : إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فقال تعالى: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفة نفسه}.

[34] : أن كل فرقة تدعي أنها الناجية، فأكذبهم الله بقوله: {هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}، ثم بين الصواب بقوله: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن}.

[35] : التعبد بكشف العورات كقوله: {وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها}،

[36] : التعبد بتحريم الحلال، كما تعبدوا بالشرك.

[37] : التعبد باتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله.

[37] : الإلحاد في الصفات، كقوله تعالى: {ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون}

[39] : الإلحاد في الأسماء، كقوله: {وهم يكفرون بالرحمن}.

[40] : التعطيل، كقول آل فرعون.

[41] : نسبة النقائص إليه سبحانه، كالولد والحاجة والتعب، مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك.

[42] : الشرك في الملك، كقول المجوس.

[43] : جحود القدر.

[44] : الاحتجاج على الله به.

[45] : معارضة شرع الله بقدره.

[46] : مسبة الدهر، كقولهم: {وما يهلكنا إلا الدهر}.

[47] : إضافة نعم الله إلى غيره، كقوله: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها}.

[48] : الكفر بأيات الله.

[49] : جحد بعضها.

[50] : قولهم: {ما أنزل الله على بشر من شيء}.

[51] : قولهم في القرآن: {إن هذا إلا قول البشر}.

[52] : القدح في حكمة الله تعالى.

[53] : إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل كقوله تعالى: {ومكروا ومكر الله}، وقوله: {وقالت طائفة من أهل الكتاب امنوا وجه النهار واكفروا اخره}.

[54] : الإقرار بالحق ليتواصلوا به إلى دفعه كما قال في الآية (2).

[55] : التعصب للمذهب، كقوله تعالى: {لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم}.

[56] : تسمية اتباع الإسلام شركاً، كما ذكره في قوله تعالى: {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله} الآيتين.

[57] : تحريف الكلم عن مواضعه (3).

[58] : لي الألسنة بالكتاب (4).

[59] : تلقيب أهل الهدى بالصباة والحشوية.

(2) أي الآية السابقة.

(3) قال تعالى في سورة المائدة، الآية: 13 {يحرّفون الكلم عن مواضعه} الآية.

[60] : افتراء الكذب على الله.

[61] : التكذيب بالحق.

[62] : كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك، كما قالوا: {اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض}.

[63] : رميهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الآية.

[64] : رميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالى: {ويذكرك والهتك} الآية، وكما قال تعالى: {إني أخاف أن يبدل دينكم}.

[65] : رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك في الآية.

[66] : رميهم إياهم بتبديل الدين، كما قال تعالى: {إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد}.

[67] : رميهم إياهم بانتقاص الملك كقولهم: {ويذكرك والهتك}.

[68] : دعوهم العمل بما عندهم من الحق، كقولهم: {نؤمن بما أنزل علينا}، مع تركهم إياه.

[69] : الزيادة في العبادة، كفعلهم يوم عاشوراء.

[70] : نقصهم منها، كتركهم الوقوف بعرفات.

[71] : تركهم الواجب ورعاً.

[72] : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

[73] : تعبدهم بترك زينة الله.

[74] : دعوتهم الناس إلى الضلال بغير علم.

[75] : دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

[76] : المكر الكُبار، كفعل قوم نوح.

[77] : أن أئمتهم إما عالم فاجر وإما عابد جاهل، كما في قوله: {وقد كن فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * أولا يعلمون أن الله علم ما يسرون وما يعلنون * ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون}.

[78] : دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

[79] : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: {قل إن كنتم تحبون الله}.

[80] : تمنىهم الأمانى الكاذبة، كقولهم: {لن تمسنا النار إلا أياما معدودة}، وقولهم: {لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى}.

[81] : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد.

[82] : اتخاذ آثار أنبياءهم مساجد كما ذكر عن عمر (4).

[83] : اتخاذ السُّرج على القبور.

[84] : اتخاذها أعياداً.

[85] : الذبح عند القبور.

(4) يشير الشيخ (رحمه الله) إلى ما أخرجه الطحاوي وابن وضاح وغيرهما كما في الاعتصام للشاطبي عن المعرور بن سويد الأسدي قال: وافيت الموسم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما انصرفنا إلى المدينة انصرفت معهم فلما صلى بنا صلاة الغداة قرأ فيها: {لم تر كيف فعل ربك} و {لإيلاف قريش} ثم رأى ناساً يذهبون فذهبا فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قالوا: يأتون مسجداً هاهنا صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، يتبعون آثار أنبيائهم فاتخذوهم كنائس وبيعاً، من ادركته الصلاة في شئ من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل فيها وإلا فلا يتعمدها.

[86] : التبرك بآثار المعظمين، كدار الندوة، وافتخار من كانت تحت يده بذلك، كما قيل لحكيم بن حزام: بعث مكرمة قريش؟! فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى (5).

[87] : الفخر بالأحساب.

[88] : الطعن في الأنساب.

[89] : الاستسقاء بالأنواء (6).

[90] : النياحة.

[91] : أن أجل فضائلهم البغي، فذكر الله فيه ما ذكر.

[92] : أن أجل فضائلهم الفخر، ولو بحق، فنهى عنه.

[93] : أن تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمر لا بد منه عندهم فذكر الله فيه ما ذكر.

[94] : أن من دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره، فأنزل الله: { ولا تزر وازرة وزر اخرى}.

[95] : تعبير الرجل بما في غيره فقال: "أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية" (متفق عليه) .

[96] : الافتخار بولاية البيت، فذمهم الله بقوله: {مستكبرين به سامرا تهجرون}.

(5) يشير الشيخ (رحمه الله) بهذا إلى ما ذكره الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب عن مصعب قال: جاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام، فباعها بعدما مات معاوية بمائة ألف درهم، فقال له ابن هبيرة: بعثت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى.

(6) أي طلب السقيا من النجم، أو نسبة المطر إليه كقولهم: مطرنا بنوء كذا كما في الحديث المتفق عليه عن زيد بن خالد الجهني أخرجه البخاري رقم 844 ومسلم رقم 71. ومن اعتقد أن الكواكب فاعل مدبر منشى للمطر كما كان أهل الجاهلية يفعلون لاشك في كفره، ويكره من قاله اعتباراً بالعبرة.

[97] : الافتخار بكونهم ذرية الانبياء، فأتى الله بقوله: {تلك امة قد خلت لها ما كسبت}.

[98] : الافتخار بالصنائع، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث.

[99] : عظمة الدنيا في قلوبهم، كقولهم: {وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}.

[100] : التحكم على الله، كما في الآية السابقة.

[101] : ازدراء الفقراء، فأتاهم بقوله: {ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي}.

[102] : رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله: {ما عليك من حسابهم من شيء} الآية وأمثالها.

[103] : الكفر بالملائكة.

[104] : الكفر بالرسول.

[105] : الكفر بالكتب.

[106] : الإعراض عما جاء عن الله.

[107] : الكفر باليوم الآخر.

[108] : التكذيب بلقاء الله.

[109] : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، كما في قوله: {أولئك الذين كفروا بء آيات ربهم ولقائه}، ومنها التكذيب بقوله: {مالك يوم الدين}، وقوله: {لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة}، وقوله: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}.

[110] : قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

[111] : أيمان بالجبت والطاغوت.

[112]: تفضيل دين المشركين على دين المسلمين.

[113]: لبس الحق بالباطل.

[114]: كتمان الحق مع العلم به.

[115]: قاعدة الضلال، وهي القول على الله بلا علم.

[116]: التناقض الواضح لما كذبوا بالحق، كما قال تعالى: {بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج}.

[117]: الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

[119]: التفريق بين الرسل.

[120]: دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم.

[121]: صدهم عن سبيل الله من آمن به.

[122]: مودتهم الكفر والكافرين.

[123] و [124] و [125] و [127] و [128]: العيافة (7)، والطرق (8)، والطيبة (9)، والكهانة (10)، والتحاكم إلى الطاغوت، وكراهة التزويج بين العبيد (11).

والله أعلم

وصلى الله على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم.

(7) العيافة: هي زجر الطير فإن طار يميناً تفاءلت، وإن طار شمالاً تشاءمت، وكذلك الاعتبار بأسمائها ومساقطها.

(8) هو نوع من التكهن بالحصى أو بالقطن والصوف وادعاء على الغيب. (9) هي التشاؤم.

(10) الكهانة: إدعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب.

(11) لعل المراد ما كان عليه أهل الجاهلية من جعل الإماء تزني بأجر، فلذلك لا يزوجونها ويمنعون ذلك الزواج